

تمهيد

لماذا ندرس النظام الإعلامي العالمي؟

ما أهمية دراسة الإعلام العالمي؟

الصيد الناجح هو الذي يحاول أن يطور معرفته بالبحر ليكتشف الفرص التي يمكن أن يستغلها، والأماكن التي يتوافر فيها الصيد. كذلك الإعلامي الناجح لابد أن يفهم الإعلام العالمي، ويعرف كيف ينتج المضمون في ضوء معرفته بهذا الإعلام.

لذلك فإننا نريد أن نحقق عدداً مهماً من الأهداف من خلال الدراسة المتعمقة للإعلام العالمي على النحو التالي.

1. أن يتعرف الدارس على الأوضاع العالمية في مجال الإعلام.
2. أن يطور قدراته في التفكير النقدي، وأن يستخدمها في فهم المضمون الذي تقدمه وسائل الإعلام، وتأهيل الدارسين ليقوموا بوظيفة الناقد الإعلامي.
3. أن يتمكن من اكتشاف تحيز وسائل الإعلام Media bias.
4. أن يتعرف على أساليب استخدام وسائل الإعلام في إدارة الصراعات العالمية.
5. أن يتعرف على العلاقة بين الإعلام والاقتصاد، والقوى الفاعلة التي تسيطر على الإعلام والاقتصاد العالمي.
6. أن يستخدم معرفته بالإعلام العالمي لزيادة كفاءته في التعامل مع وسائل الإعلام، وتغطية الأحداث وإنتاج الأخبار ونقد وسائل الإعلام.
7. أن يتمكن من التعرف على أهداف المصادر، والأساليب التي تستخدمها لتوجيه تغطية وسائل الإعلام للأحداث.
8. زيادة كفاءة الدارسين للتعامل مع وسائل الإعلام العالمية، وتأهيلهم للقيام بوظائف في المجال الإعلامي خاصة في السفارات، وفي مجال الدبلوماسية العامة، وتحقيق أهداف السياسة الخارجية لدولهم.
9. زيادة القدرات البحثية للدارسين في مجال الإعلام العالمي.

أهداف عامة

- كما أننا نسعى إلى تحقيق أهداف عامة عن طريق تدريس الإعلام العالمي على النحو التالي.
1. الكفاح ضد السيطرة الشمالية على صناعة الإعلام والاتصال والإنتاج الثقافي، وتأهيل الدارسين ليكونوا مدافعين عن حرية الشعوب وحقوقها في الاتصال.
 2. تطوير قدرات الدول العربية بشكل خاص ودول الجنوب بشكل عام على إنتاج الأخبار وتبادلها، ولذلك لكسر التبعية الإعلامية، ولتشكيل المعرفة الحقيقية للشعوب عن بعضها.
 3. تطوير صناعة الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي دول الجنوب لتكون أساساً للنهضة والتقدم وبناء مجتمع المعرفة.
 4. بناء مفاهيم جديدة لحرية الإعلام، وحق الاتصال، وحق المعرفة.
 5. بناء جيل جديد من الإعلاميين يتميز بالكفاءة والقدرة على تحقيق القوة الإعلامية العربية.
 6. الكفاح لحماية الهوية والذاتية الثقافية.
 7. تحقيق السيادة الإعلامية بمفهوم جديد يقوم على زيادة القدرات التنافسية للدول العربية في مجال الإعلام، وإشباع احتياجات المواطنين العرب الإعلامية والثقافية.
 8. فتح المجال لمناقشة عظيمة جديدة في مجال الإعلام تستهدف إقامة نظام إعلامي عالمي جديد، وتطوير النظم الإعلامية الإقليمية والوطنية.

الوسائل التعليمية

1. المحاضرة: حيث يقوم الأستاذ بشرح المفاهيم وإلقاء الضوء على المشكلات والأوضاع العالمية في مجال الإعلام.
2. المناقشة العامة: حيث يفتح الأستاذ المجال أمام الطلاب للتفكير النقدي، وإثارة الأسئلة، وعصف الذهن، والبحث عن حلول للمشكلات والتعليم الإبداعي.
3. البحث العلمي: حيث يتم تشكيل فرق عمل تقوم بتقديم أوراق بحثية حول تأثير الإعلام الدولي على الأوضاع الإعلامية في دولهم، وكيفية مواجهة المشكلات والتوصل إلى حلول .. ويشكل ذلك أيضاً مرحلة مهمة في التعليم الإبداعي.

المخرجات

بعد دراسة هذا المقرر يجب أن يكون الطالب قادراً على نقد وسائل الإعلام في ضوء معرفته بأوضاع الإعلام العالمي، كما يجب أن يكون قادراً على شرح المفاهيم والمشكلات والتطورات في الإعلام العالمي، والتعامل بكفاءة مع المضمون الذي تنتجه وسائل الإعلام، واكتشاف تحيز وسائل الإعلام والأخبار التي تبثها وكالات الأنباء.



الفصل الأول

مرحلة كفاح جديدة

هل نحتاج إلى مناقشة عظيمة جديدة لأوضاع الإعلام الدولي؟!

1

الفصل الأول

مرحلة كفاح جديدة

هل نحتاج إلى مناقشة عظيمة جديدة لأوضاع الإعلام الدولي؟!

أولاً: المناقشة العظيمة: نقد التجربة

إن تقييم التجارب التاريخية ونقدها يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة لتطوير كفاحنا في المستقبل، لذلك كان من الضروري أن نقدم دراسة نقدية لتجربة اليونسكو في دراسة أوضاع الإعلام في العالم خلال السبعينيات من القرن العشرين، وذلك لتحويل تلك التجربة إلى أساس لمرحلة كفاح جديدة.

ولقد بدأت تلك التجربة التي أطلق عليها عالم الاتصال الفنلندي نوردنسترنج «المناقشة العظيمة» في بداية السبعينيات حين أدركت دول الجنوب أن الاستقلال الذي كافحت لتحقيقه مازال ناقصاً، وأنها مازالت تخضع لاستعمار ثقافي أعاق قدرتها على تحقيق التنمية، وحماية سيادتها الوطنية، وبناء نظمها الإعلامية. وأن احتكار دول الشمال لصناعة الإعلام والاتصال هو العامل الرئيس في التقليل من قدرتها على استكمال استقلالها ذلك أنها تعاني من التبعية للنظام الإعلامي الدولي، وأنه ليس لها أهمية أو دور في تدفق الأنباء الذي يخضع للسيطرة الاحتكارية الشمالية.

لذلك طالبت منظمة عدم الانحياز بإقامة نظام إعلامي عالمي جديد. وقد تواقبت تلك الدعوة مع دعوة دول الجنوب لإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد والتي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1974.

كما تبنت اليونسكو دعوة دول الجنوب لإقامة نظام إعلامي عالمي جديد، وبذلك بدأت المناقشة العظيمة كنقطة تحول تاريخية بتشكيل لجنة ماكبرايد كبداية لدراسة أوضاع الإعلام والاتصال في العالم والتي قدمت تقريرها إلى المؤتمر الحادي والعشرين لليونسكو في خريف عام 1980.

ولقد حاولت لجنة ماكبرايد أن تحقق نوعاً من التوفيق أو التوصل إلى حلول وسط بين مطالب دول الجنوب وإصرار دول الشمال على حماية حرية تدفق الأنباء.

مع ذلك واجهت دول الشمال تلك الدعوة بقدر كبير من العدا، وقامت وسائل الإعلام الأمريكية بشن هجوم على تلك الدعوة حيث اتهمت دول الجنوب بأنها تستخدم اليونسكو لتقييد حرية الإعلام.



كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالانسحاب من اليونسكو في ديسمبر 1983، رغم أن اليونسكو لم تفعل سوى أنها قدمت منتدى للمناقشة.

ماذا حققت تلك المناقشة.

لقد توقفت تلك المناقشة عام 1984، ويرى الكثيرون أنها قد فشلت .. ومع ذلك فإن تلك المناقشة كانت كما يصفها شيلر ونوردنسترنج كفاحاً ضد الاستعمار يهدف إلى التحرير الثقافي الاجتماعي للجنوب، بالإضافة إلى أنها تشكل إستراتيجية للإصلاح العالمي.

كما أنها تعتبر من أهم إنجازات دول الجنوب خلال السبعينيات .. فلقد كان من الضروري أن يتم فتح المجال للمناقشة حول النظام الإعلامي الدولي.

إن هذه المناقشة هي أول تحدٍ تقوم به الدول النامية للسيطرة الأمريكية على النظام الإعلامي الدولي، وكانت تعبيراً عن سخط الشعوب على انعدام المساواة والظلم والاختلال في تدفق الأنباء.

يضاف إلى ذلك أن هذه المناقشة تمثل تراثاً علمياً مهماً يمكن أن يسهم في تطوير المرحلة الثانية من الكفاح ضد السيطرة الشمالية على صناعة الإعلام والاتصال، ذلك أن هذا الكفاح ضد هذه السيطرة الأمريكية لابد أن يتجدد. كما أن هذه المناقشة قد أدت إلى التوصل إلى مفاهيم جديدة، وصياغة حقوق جديدة للإنسان، وكان من أهم هذه المفاهيم مفهوم الحق في الاتصال، وهو حق أوسع بكثير من مفهوم التدفق الحر للأخبار والمعلومات.

وعلى المستوى العملي دفعت هذه المناقشة دول الجنوب إلى الإحساس بخطورة ضعفها الإعلامي، وضرورة تنمية نظم اتصالها الوطنية. وزيادة قدراتها الإعلامية، وضرورة التعاون لإنشاء مشروعات إعلامية مشتركة.

دراسة أسباب الفشل مقدمة للنجاح

مع ذلك فإننا لابد أن ندرس تلك التجربة برؤية نقدية. فلقد كان من أهم أسباب عدم قدرة الدول الجنوبية على تحقيق نجاح كبير أنها لم توسع نطاق المناقشة لتشمل دراسة الكثير من القضايا المهمة. كما أنها لم تتمكن من مواجهة الاتهام الأمريكي بأن دول الجنوب تريد تقييد حرية تدفق الأنباء، وتقييد حرية الإعلام. ولقد ساعد على ذلك أن الدول الجنوبية ركزت على الهجوم على مبدأ التدفق الحر.

لقد كان من الضروري البحث عن أفكار جديدة ومبدعة من أهمها إثبات أن التدفق ليس حراً. ولقد كان تقرير لجنة ماكبرايد بعنوان أصوات متعددة وعالم واحد من أهم وثائق المناقشة، لكنه جاء نتيجة لخضوع اللجنة للكثير من الضغوط، ورغبتها في أن تبدو موضوعية،



وأن تتوصل إلى حلول وسط لذلك فإن هذا التقرير لم يحاول أن يثبت أن تدفق الأنباء في العالم ليس حراً.

صوت واحد وعوالم متعددة

جاء هذا التقرير يحمل عنواناً لا صلة له بالواقع، فقد جاء عنوانه «أصوات متعددة وعالم واحد»، وربما تكون صياغة العنوان معبرة عن مطالب الدول الجنوبية، وعن هدف النظام الإعلامي العالمي الجديد الذي تطالب به، لكنه لا يعبر عن واقع الإعلام والاتصال في العالم المعاصر فهناك صوت واحد فقط هو صوت الشمال أو بمعنى أدق صوت الولايات المتحدة الأمريكية يحمل إلى البشر في كل أنحاء المعلومات والأخبار والتسليّة والمنتجات الثقافية التي تهدف إلى إخضاع البشر لمنطق السوق والرأسمالية والسيطرة الأمريكية.

في الوقت نفسه فإنه ليس هناك عالم واحد إنها عوالم متعددة، هناك حضارات مختلفة، وثقافات متنوعة، وشعوب لها مصالح وطموحات وآمال لا يعبر عنها النظام الإعلامي العالمي.

هذه العوالم المتعددة تحتاج إلى أن تتحاور وأن تعلم العالم بمشاكلها التي نتج معظمها عن الإرث الاستعماري الطويل.

هذه العوالم المختلفة تحتاج إلى فهم مشاكلها في سياقها التاريخي المعقد، وليس عن طريق تلك المعلومات المبسطة والمضللة التي تتدفق عبر النظام الإعلامي الدولي. لذلك كانت الصياغة التي تعبر عن الواقع الراهن للإعلام الدولي هي صوت واحد وعوالم متعددة؛ والمسافة واسعة بين استقراء الواقع ونقده تمهيداً لإصلاحه من ناحية، والحلم الذي عبر عنه تقرير لجنة ماكبرايد.

الحاجة إلى مفهوم جديد للحرية

الحرية تقوم على التعددية والتنوع وضمان وصول كل الأصوات إلى الجماهير، وقدرة الأفراد والشعوب والثقافات على استخدام وسائل الإعلام لذلك يرى شيلر: إن التدفق الحر للمعلومات خرافة. فالتدفق لا يتحرك بحرية، فهناك من يقومون باختيار الرسائل التي تتدفق؛ والقضية هي من هؤلاء الذين يتحكمون في التدفق ومن يمثلون؟!

ربما يكون ذلك هو مفتاح القضية، ذلك أن استقراء الواقع يبين أن مبدأ التدفق الحر الذي ترفض الولايات المتحدة أي تفاوض حوله، أو مناقشة له، وتعتبره العنصر الأساسي في سياستها الخارجية والإعلامية هو مجرد شعار يخفي خلفه السيطرة الأمريكية على تدفق المعلومات، وأنه لا يوجد هذا التدفق الحر للأنشطة ولكن يوجد التدفق الأمريكي للأنباء والمعلومات The American Flow Of Information. ولأن للمعرفة تأثير هائل على إنتاج الثروة كما يرى



هيرماس، فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية وشركاتها الرأسمالية بتصميم أيديولوجية التدفق الحر بحيث تتدفق المعلومات التي تحقق مصالح الشركات الأمريكية عابرة القارات، وتضمن لها أن تجعل العالم كله سوقاً لمنتجاتها، ومصدراً للمواد الخام، وتخضع العالم كله للسيطرة الأمريكية. لذلك فإن العالم يحتاج إلى مفاهيم جديدة لحرية الإعلام وحرية تدفق الأنباء والمعلومات.

فالحرية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا اتبحت الفرص لكل الأصوات لكي تسمع، ولكل الأمم أن تعبر عن نفسها، وأن تعلم الآخرين بقضاياها ومواقفها وبرؤيتها للأحداث، ولكل الحضارات أن تتحاور، وأن تتوفر قنوات اتصالية وإعلامية لهذا الحوار، وأن تتوفر الفرص لكل الحضارات لكي تسهم في حل مشكلات العالم.

لذلك فإن نقطة البداية الصحيحة التي يمكن أن تقوم عليها المرحلة الثانية من الكفاح ضد السيطرة الشمالية على صناعة الإعلام والثقافة الاتصال هي تطوير مفهوم جديد للحرية.

لقد هاجمت دول الجنوب خلال المناقشة العظيمة السابقة حرية التدفق بينما كان التدفق مقيداً ومحتكراً ويتم تشكيله لتحقيق الأهداف الأيديولوجية لدول الشمال ولا يوفر حق الاتصال ولا حق المعرفة للجماهير في الجنوب أو في الشمال، ومن السهل إثبات ذلك بالأدلة العلمية، ولو أن دول الجنوب قد اتبعت هذا المنهج خلال مناقشة السبعينات لحصلت على تأييد الكثير من علماء الاتصال في الشمال، وعلى مساندهم العلمية، ذلك أن الآثار السلبية لاحتكار الشركات عابرة القارات تتضح بشكل مستمر، وتشكيلها للمعرفة بما يضمن أهدافها في السيطرة يزداد وضوحاً.

لذلك كان الأسلوب الأفضل هو إثبات أن التدفق ليس حراً.. وأن الهدف هو تحريره من السيطرة الشمالية، ومن احتكار الشركات عابرة القارات، ومن الأسس الأيديولوجية الغربية التي يتم على أساسها إنتاج المضمون الذي يتدفق، وصناعة الأنباء والمعلومات.

لذلك فإن هدف المرحلة القادمة من الكفاح الجنوبي والإنساني بشكل عام يجب أن يكون تحرير تدفق الأنباء والمعلومات والمضمون ولكن الحرية بأي مفهوم والحرية لماذا والحرية لمن؟ وما علاقة حرية تدفق الأنباء والمعلومات بحق الأفراد والشعوب والأمم في الاتصال وبدمقرطة الاتصال على المستوى العالمي وبحق الجماهير في المعرفة وبحق الإنسان في الحصول على معلومات لها معنى تعيد له إنسانيته وهل المعلومات التي تتدفق مجرد سلعة تجارية تقدم لزبائن أو مستهلكين، أم أنها خدمة عامة تستهدف زيادة قدرات الإنسان الثقافية والمعرفية وتحقيق حق الجماهير في المعرفة.



مناقشة جديدة عظيمة .. لماذا؟!

بعد أكثر من ربع قرن من نهاية المناقشة العظيمة السابقة .. فإن العالم يقف على أبواب مرحلة جديدة يحتاج فيها إلى مناقشة عظيمة جديدة للأسباب التالية.

1. إن السيطرة الأمريكية على صناعة الإعلام والاتصال قد ظهرت آثارها السلبية على العالم بشكل واضح خلال السنوات الأخيرة، وأنها قد قللت من قدرة الشعوب والدول والحضارات على الحوار وتبادل التجارب والخبرات والأفكار الجديدة.
2. إن أمريكا قد استخدمت سيطرتها على صناعة الإعلام والاتصال في تبرير عدوانها على الشعوب مثل العراق.
3. إن أمريكا قد منعت تدفق الكثير من المعلومات التي تكشف عمليات القتل والتدمير التي ارتكبتها في العراق، وحجبت عن الجماهير الكثير من المعلومات عن خسائرها البشرية في العراق حتى لا يتكرر سيناريو حرب فيتنام، ولذلك فإن الشعب الأمريكي نفسه قد عانى من تقييد حقه في المعرفة، وتقييد حرية تدفق الأنباء والمعلومات.
4. إن وسائل الاتصال قد استخدمت لفرص الأيديولوجية الرأسمالية على العالم، وتم منعها من كشف مساوئ الرأسمالية أو نقدها أو مناقشة جوانب التطور الرأسمالي، وهو ما ساهم في إلحاق الضرر بالعالم كله، وتسبب في الإعصار المالي عام 2008، ووضع العالم على حافة الكساد، وتوقف نمو الاقتصاد العالمي، وزيادة الفقر والبطالة.
5. لم يعد الجنوبيون الفقراء فقط هم أصحاب المصلحة في فتح مناقشة عظيمة جديدة، ولكن الإنسانية كلها تحتاج إلى هذه المناقشة.
- لذلك فإن الأمة العربية تستطيع أن تقدم إسهاماً حضارياً جديداً إذا تبنت هذه المناقشة العظيمة الجديدة.
- كما أن الكثير من الدول أصبحت تعاني من الاختلال في تدفق المعلومات، وهذا يعني أن هناك إمكانيات كبيرة لتطوير نطاق المناقشة، وزيادة فرص النجاح لها.
6. إن إصلاح النظام الإعلامي العالمي، وتحقيق التوازن في تدفق الأنباء يمكن أن ينقذ البشرية من الأزمة الاقتصادية العالمية، ومن صدام الحضارات الذي يشكل النظام الإعلامي الدولي ثقافته، ويهيئ له المناخ.
7. إن ثورة الاتصال يمكن تفتح المجال للكثير من الدول لتطوير البنى الاتصالية والإعلامية المستقلة، والتأثير على تدفق الأنباء ..



وفي هذا السياق تبدو تجربة القنوات الفضائية العربية خلال حربي أفغانستان والعراق حالة شاهدة على إمكانية كسر التبعية للشمال في مجال تدفق الأخبار، وتقديم الأخبار من مناظير مختلفة، ويتعهد وبحرية أكبر من وسائل الإعلام الشمالية.

ومن المؤكد أن المناقشة العظيمة الجديدة يمكن أن تتيح لنا تطوير قدرة الإعلاميين العرب على تغطية الأحداث بأساليب جديدة، وكسر الاحتكار الشمالي لتدفق الأنباء.

أين يمكن أن تبدأ المناقشة العظيمة الجديدة؟

وفرت اليونسكو منتدى للمناقشة العظيمة خلال السبعينيات .. لكن اليونسكو أصبحت تفتقد القدرة على أن توفر هذا المنتدى للمناقشة العظيمة الجديدة.

لذلك فإن الساحة المناسبة للمناقشة الجديدة يجب أن تكون على أرض أصحاب المصلحة فيها .. ولذلك فإنها يمكن أن تبدأ في جامعات الجنوب.

ويمكن أن تقوم الجامعات العربية بدور مهم على المستويات التالية:

1. تشجيع البحث العلمي في مجال الإعلام الدولي بهدف توفير الأساس العلمي للمناقشة، ويمكن تشجيع طلاب الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية على التسجيل في هذا المجال.

2. تشجيع الباحثين في الوطن العربي على تقديم دراسات متعمقة في مجال الإعلام الدولي، بهدف كشف الجوانب المختلفة لهذا النظام، ونقد الأسس الفلسفية والعملية والتقنية التي يقوم عليها.

3. تشجيع البحوث المشتركة بين الجامعات العربية في مجال الإعلام الدولي، بهدف بناء إستراتيجيات تطوير النظم الإعلامية الوطنية والإقليمية، ذلك أن الدول العربية تشكل كتلة مهمة داخل الجنوب، وهي تمتلك المال والجاهير والثقافة الذي يمكن أن تقوم عليها صناعة جديدة للمضمون الإعلامي.

4. أن تتبنى الدول العربية عقد مؤتمرات لمناقشة أوضاع الإعلام الدولي، وعرض نتائج الأبحاث التي يمكن أن تساهم في بناء الأساس العلمي لإصلاح النظام الإعلامي الدولي وبناء نظام جديد.

5. إن تلك الجهود يمكن أن تؤدي إلى بناء مدرسة عربية في علم الإعلام الدولي، ويمكن أن توفر هذه المدرسة الأساس العلمي لبناء نظام إعلامي عربي مستقل، وكسر التبعية للنظام الإعلامي الدولي.

6. زيادة إمكانيات التعاون العلمي بين جامعات الجنوب في دراسة الإعلام الدولي بما



يسهم في زيادة القدرات الإعلامية والاتصالية للجنوب، وتطوير النظم الإعلامية الوطنية، وبناء مشروعات إعلامية مشتركة، والبحث عن أفكار جديدة ومبدعة لكسر التبعية للنظام الإعلامي الدولي.

الأسس العلمية للمناقشة العظيمة الجديدة

إن نقد تجربة المناقشة العظيمة السابقة يوضح أن المناقشة الجديدة يجب أن تبنى على الأسس التالية:

1. أن تبنى المناقشة الجديدة على أساس منظومة متكاملة ومترابطة من حقوق الإنسان .. ومن أهم هذه الحقوق.

أ. الحق في الاتصال.

ب. الحق في الحصول على معلومات لها معنى، وتسهم في تطوير حياة الإنسان وهذا يتطلب التعامل مع الإنسان كمواطن وليس كمستهلك.

ج. الحق في المعرفة.

د. الحق في الكرامة الإنسانية.

هـ. الحق في الحصول على مضمون يتفق مع احتياجاته الإنسانية.

و. الحق في تعريف الآخرين بنفسه وبقضاياهم ومشكلاته.

ز. الحق في حماية الحياة الخاصة للإنسان.

2. الربط بين الحقوق الفردية والحقوق المجتمعية. وفي هذا الإطار تأتي الحقوق التالية.

أ. حق الأمة في حماية هويتها وذاتيتها الثقافية.

ب. حق الأمة في حماية منظومتها الأخلاقية والقيمية.

ج. حق المجتمع في حماية نظام الأسرة.

د. حق المجتمع في تحقيق التنمية.

3. تطوير المسؤولية الأخلاقية لوسائل الإعلام، وللإعلاميين كجماعة مهنية .. والربط بين الحرية والمسؤولية في إطار عقد اجتماعي بحيث يضمن المجتمع الحرية للإعلاميين في مقابل قيامهم بوظائفهم لصالح المجتمع.

4. إن تحدي المستقبل هو إقامة صناعة جديدة للمضمون الإعلامي على أسس جديدة، وبمنظور حضاري يختلف عن المنظور الحضاري الغربي .. ذلك أن أمريكا قد أغرقت العالم في التسلية التي أدت إلى تجهيل الجماهير والتقليل من قدرتها على القيام بعمل منظم لتحقيق التغيير، أو الاهتمام بالقضايا الجادة.



5. إن الحضارة الإسلامية يمكن أن توفر الأساس لبناء صناعة جديدة للمضمون تساهم في تطوير حياة الإنسان، وبناء مجتمع المعرفة.

6. إن النظام الإعلامي الدولي الذي يخضع الآن للسيطرة الأمريكية يرتبط بالرأسمالية التي أدت إلى أن يواجه العالم أزمة اقتصادية سوف تتحول بدورها إلى أزمة حضارية وثقافية. ولذلك فإن إصلاح هذا النظام وبناء نظم إعلامية إقليمية وحضارية من أهم الحلول للأزمة الاقتصادية العالمية.

في ضوء ذلك فإننا نطرح الدعوة إلى مناقشة عظيمة جديدة تبدأ في الجامعات العربية، ويساهم علماء الاتصال والإعلام العرب في تطويرها لصالح البشرية، وبهدف إصلاح النظام الإعلامي الدولي وبناء نظام إعلامي عالمي جديد.

نقطة البداية في المناقشة: هل يمكن إصلاح النظام الإعلامي العالمي؟

قد تشكل الإجابة على ذلك السؤال نقطة بداية مهمة، وذلك أنها تحدد كيفية التعامل مع ذلك النظام .. وقد كانت المناقشة العظيمة السابقة تهدف إلى إصلاح هذا النظام حيث وصف نوردنسترنج وشيلر الدعوة لإقامة نظام إعلامي عالمي جديد بأنها تشكل إستراتيجية للإصلاح العالمي Global reform⁽¹⁾. وربما يكون ذلك أحد أهم العوامل التي شكلت تقرير لجنة ماكبرايد: «أصوات متعددة وعالم واحد»، وأدت إلى محاولة اللجنة التوصل إلى حلول وسط. وإقناع دول الشمال بمساعدة دول الجنوب الفقيرة على تطوير البنى الأساسية للاتصال، والعمل على قدرتها على جمع الأخبار وتوزيعها طبقاً للأسس الغربية. ومع أن المناقشة العظيمة قامت على هذه الرؤية الإصلاحية المحدودة والتي تهدف إلى التوصل إلى حلول وسط إلا أن الولايات المتحدة قد رفضتها وهاجمتها بقسوة، وقامت بالانسحاب من اليونسكو .. حيث أشار الخطاب الذي أرسله وزير الخارجية الأمريكي إلى الأمين العام لليونسكو في ديسمبر عام 1983 إلى معارضة الولايات المتحدة الأمريكية للدعوة لإقامة نظام إعلامي عالمي جديد لأنها تتعارض مع التدفق الحر للمعلومات⁽²⁾.

كما أصدر مؤتمر اللجنة العالمية لحرية الصحافة في فرنسا في مايو 1981 إعلاناً دعا فيه اليونسكو للتخلي عن الدعوة لإقامة نظام إعلامي عالمي جديد. ووصف الدعوة بأنها محاولة للتحكم في مضمون الأخبار⁽³⁾.

ويوضح تحليل خطاب الرؤساء الأمريكيين ومجلس الشيوخ الأمريكي رفض الولايات المتحدة لأية إصلاحات للنظام الإعلامي العالمي. أو التفاوض حول المفاهيم التي يقوم عليها مثل التدفق الحر للأبناء والمعلومات. أو إعطاء دول الجنوب أية حقوق، أو مساعدتها في زيادة قوتها الإعلامية⁽⁴⁾، لماذا؟!!



لقد كان من الواضح أن الولايات تدافع عن هذا النظام بشكل يتجاوز الخطاب الدبلوماسي الناعم، ويتسم بقدر كبير من العداء حيث وصفت الولايات المتحدة الدعوة لإقامة نظام عالمي جديد بأنها الحرب الباردة الثانية، وأنها نشاط معاد للولايات المتحدة⁽⁵⁾.

كما شنت الولايات هجوماً على اليونسكو واتهمتها بالفساد السياسي والمالي، وذلك لأن اليونسكو وفرت منتدى للدول النامية للمطالبة بنظام إعلامي جديد يقوم على إصلاح النظام الإعلامي الدولي.

كان ذلك هو الدور الوحيد الذي يمكن أن تقوم به اليونسكو حيث أنها لم تكن لها أية سلطة كمؤسسة دولية لتحقيق أية إصلاحات للاختلال في النظام الإعلامي الدولي، أو أن تحمي السيادة الثقافية للدول النامية من خلال فرض قيود على التدفق كما كانت تريد الدول النامية⁽⁶⁾.

كان أقصى ما يمكن أن تقدمه اليونسكو هو أن تدير المناقشة، وأن تصدر إعلاناً يتبنى الدعوة إلى إقامة نظام إعلامي عالمي جديد، وإصلاح الاختلال في تدفق الأنباء.

يوضح ذلك أن الولايات المتحدة تعتبر أن هذه النظام الإعلامي الدولي الذي تطور عقب الحرب العالمية الثانية والمفاهيم الذي قام عليه هذا النظام هو المصدر الرئيسي لقوتها ولهيمنتها الاقتصادية والسياسية على العالم، وبالتالي فإنها ترفض أية محاولة لإصلاحه أو أية محاولة لزيادة القوة الإعلامية للدول الفقيرة بما يمكن أن يساهم في توعية الجنوبيين الفقراء بخطورة الغرق في المضمون الذي يتدفق من الولايات المتحدة الأمريكية إلى العالم حاملاً معه التجهيل والتضليل.

إن فهم الموقف الأمريكي من مناقشة النظام الإعلامي الدولي ومعارضتها لأية مناقشة جديدة لمفهوم التدفق الحر للأنباء والمعلومات يوضح لنا كيفية استغلال الولايات المتحدة لهذا المبدأ لفرض سيطرتها على العالم، وخوفها من أن تؤدي المناقشة إلى ظهور معارضة عالمية واسعة لسيطرتها على تدفق المعلومات.

كما يوضح موقف الولايات المتحدة أن الاقتصاد الأمريكي يقوم على قاعدة أساسية هي صناعة المعلومات والاتصال، وأن تدفق المعلومات والاتصال هو مسألة شديدة الأهمية للمحافظة على الاقتصاد الأمريكي، وتهيئة الفرص لتوسع هذا الاقتصاد⁽⁷⁾.

هذا يعني أن المدخل لمناقشة حرة جديدة لأوضاع النظام الإعلامي العالمي يجب أن يتجاوز محاولة إصلاح هذا النظام التي قامت عليها مناقشة السبعينيات والثمانينيات، فالولايات المتحدة لا يمكن أن تسمح بالتوصل إلى حلول وسط تقلل من سيطرتها على هذا النظام،



ولا يمكن أن تفكر بالمساومة على القاعدة الأساسية لقوتها الاقتصادية واستعمارها الجديد وسيطرتها السياسية خاصة بعد خروجها منتصرة من الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي، وزيادة شعورها بمرور القوة.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد رفضت أية محاولة للإصلاح في ظل الحرب الباردة فإنها لا يمكن أبداً أن تسمح بذلك بعد أن أصبحت القطب الأوحده الذي يسيطر على العالم.

وعلى ذلك فإن المدخل للمناقشة الجديدة التي ندعو لها يقوم على:

1. البحث عن فرص جديدة لزيادة القوة الإعلامية للدول الفقيرة. وتهيئة المناخ لإقامة نظم إعلامية وطنية توفر للمواطنين الحق في المعرفة والحق في الاتصال.

2. البحث عن الفرص والإمكانيات التي تساهم في بناء نظم إعلامية إقليمية، تزيد التعاون بين الدول الفقيرة في مجال تبادل الأخبار وتقوية البنى الاتصالية، وتحدي الهيمنة الأمريكية على تدفق الأنباء.

3. توعية الشعوب وزيادة قدرتها على نقد المضمون الذي تتلقاه عبر وسائل الإعلام، وحق الاختيار بين الوسائل الإعلامية والمصادر الإخبارية.

المناقشة الجديدة: الربط بين الإعلام والاقتصاد

ربطت مناقشة السبعينيات بين الدعوة لإقامة نظام إعلامي عالمي جديد والدعوة لإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد حيث تبنت دول عدم الانحياز ثم الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1975 الدعوة لإصلاح النظام الاقتصادي العالمي .. وكان ذلك يعبر عن وعي دول الجنوب بأهمية هذا الربط، وذلك للأسباب التالية:

1. إن ضعف الدول النامية إعلامياً يرجع إلى ضعفها الاقتصادي الناتج عن الاستغلال الغربي لمواردها عبر سنوات طويلة من الاستعمار، وقد عملت الدول الاستعمارية القديمة (بريطانيا-فرنسا) على منع الشعوب من الوصول على المعرفة التي تمكنها من الكفاح ضد الاستعمار الاقتصادي والثقافي.

2. إن السيطرة الأمريكية الاقتصادية على العالم من أهم العوامل التي شكلت سيطرتها الإعلامية والثقافية على العالم، كما أن قوتها الإعلامية ساهمت في استمرارية سيطرتها الاقتصادية وصنع المناخ المناسب لتوسع الشركات عابرة القارات، وتشكيل العالم سياسياً وثقافياً واقتصادياً.



3. لذلك ارتبط الاختلال في تدفق الأنباء والمنتجات الثقافية بالظلم وعدم المساواة في الاقتصاد العالمي.

4. أوضحت المناقشة العظيمة أن معارضة السيطرة الشمالية على تدفق الأنباء والمعلومات يمكن أن تتحول إلى حركة للتحرر من الاستعمار الاقتصادي والثقافي.

5. إن تحدي السيطرة الأمريكية على تدفق الأنباء يضعف من هيمنتها على الاقتصاد العالمي، وأمريكا تدرك جيداً أن مبدأ التدفق الحر للأنباء والمعلومات يوفر الأساس للشركات الاتصالية والإعلامية أن تعمل بشكل عالمي بدون تدخل من الحكومات⁽⁸⁾.

لذلك فإن المناقشة الجديدة يجب أن تربط بين كفاح الشعوب للحصول على حقها في الاتصال والمعرفة وحرية الإعلام والتوازن في تدفق الأنباء وتحقيق القوة الإعلامية للشعوب، وتطوير نظم إعلامية وطنية وإقليمية على أسس ثقافية وحضارية من ناحية وبين الكفاح لتحرير الشعوب من الهيمنة الغربية الاقتصادية، وحق الشعوب في استغلال مواردها لتحقيق التنمية والتقدم.

ونحن لا يمكن أن نحدد الأولوية للإعلام أو للاقتصاد فكلاهما يرتبط بالآخر، والكفاح لتحرير الشعوب من الاستغلال الغربي، وسيطرة الشركات عابرة القارات وحق الشعوب في التقدم التنمية يجب أن يرتبط ويتشابك مع الكفاح لضمان الحقوق الإعلامية والاتصالية للشعوب والأفراد. إن حق الشعوب في التحرير الإعلامي والثقافي يرتبط بحقها في التحرر الإعلامي والاتصالي، فمن حق الشعب أن يكون له صوت يُسمع، ووسائل إعلامية تعبر عنه كما أن من حقه أن يبني موارده الاقتصادية على أرضه تنمية وتقدماً.

كما أن التحرر الإعلامي والاتصالي والاقتصادي هو مقدمة ضرورية لتحقيق الاستقلال الشامل، وحماية إرادة الشعب وحرية الاختيار وبناء مستقبله وتحقيق الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان والشعوب. ولذلك فإن المناقشة الجديدة التي تحتاجها الدول الفقيرة في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين يجب أن تقوم على الشمول والترابط بين الحقوق والحرية وتهدف إلى تحقيق الاستقلال الشامل، والحق في الاتصال والإعلام والمعرفة بشكل وسيلة لتوعية الشعوب بحقوقها ويزيد قدرتها على الحصول على المعرفة التي تمكنه من بناء مستقبله فالمعرفة في حد ذاتها ثروة ولا يمكن استغلال الثروات المادية بكفاءة إلا إذا حصل الشعب على المعرفة. كما أن الكفاح ضد الاختلال في تدفق الأنباء يشكل ضرورة لتحقيق النجاح في تحقيق التنمية والتقدم ومقاومة الفقر والاستغلال والعبودية، ولكي تستطيع الدول الفقيرة أن تتحرر حضارياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً لابد أن تقاوم الاستغلال لمبدأ التدفق الحر في فرض سيطرتها على صناعة الإعلام والاتصال والمعلومات.



معلومات أم معرفة

لكي نستطيع أن نطور الأسس العلمية لمناقشة عظيمة جديدة حول النظام الإعلامي العالمي يجب أن ندرس المنتجات الإعلامية والثقافية التي تتدفق عبر العالم.

ويمكن أن نتفق على أن النظام الإعلامي العالمي يقوم على نموذج التركيز على المعلومات Information Centered Model وهو نموذج تم تطويره لخدمة الاقتصاد الرأسمالي، ومتطلبات السوق.

لذلك فقد أغرق النظام الإعلامي العالمي البشرية في طوفان المعلومات، ومن كثرة هذا المعلومات لم يعد الإنسان قادراً على تحليلها أو تفسيرها أو الاستفادة منها.

يضاف إلى ذلك أن عملية اختيار هذه المعلومات يتم طبقاً لمصالح الرأسمالية العالمية، حيث تقوم وسائل الإعلام بإخفاء الكثير من المعلومات التي تشكل تحدياً للوضع القائم، وعلى سبيل المثال أخفت وسائل الإعلام عن العالم المعلومات عن الفضائح المحاسبية للشركات الأمريكية ونشرت معلومات مضللة عن أرباح هذا الشركات وأرباح البنوك حتى استيقظ العالم على أزمة اقتصادية عام 2008.

ووسائل الإعلام تتنافس في البحث عن المعلومات لكن المعلومات التي تحصل عليها من المصادر الرسمية هي معلومات رديئة تركز على الرواية الأمريكية للأحداث. ومعظم المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام مشابهة ومكررة، ويهدف معظمها إلى التسلية أكثر من تقديم الحقائق⁽⁹⁾.

وهكذا فإن عملية الاختيار والانتقاء التي تقوم بها وسائل الإعلام لا تؤدي فقط إلى إخفاء الكثير من المعلومات ووجهات النظر، ومواقف الشعوب الأخرى، لكنها أيضاً تؤدي إلى تحريف الأخبار بسبب حذف المعلومات وإخفاء الحقائق⁽¹⁰⁾.

ولذلك أصبحت هناك علاقة واضحة بين زيادة عدد ساعات مشاهدة التلفزيون وتناقص المعرفة لدى الإنسان The more you watch, The less you know، ذلك أن ما يشاهده الإنسان عبر التلفزيون يكون قد خضع لعملية انتقاء أو اختيار تم على أساسها حذف الكثير من الأحداث، وإخفاء الكثير من الحقائق، وتم على أساسها تنميط الأخبار فأصبحت متشابهة ولا تساهم في تشكيل المواطن الذي تتوفر لديه المعرفة التي تساعد على اتخاذ القرارات أو التي تساعد على أن يحدد موقفه من الأحداث. إن ما يتلقاه الإنسان هو تسليه معلوماتية Infotainment تهدف إلى زيادة خضوعه للوضع الراهن، وزيادة رغبته في الاستهلاك، وهو لا يتلقى إلا تلك المعلومات المختصرة المبسطة التي تريد الشركات عابرة القارات أن تصل إليه.

